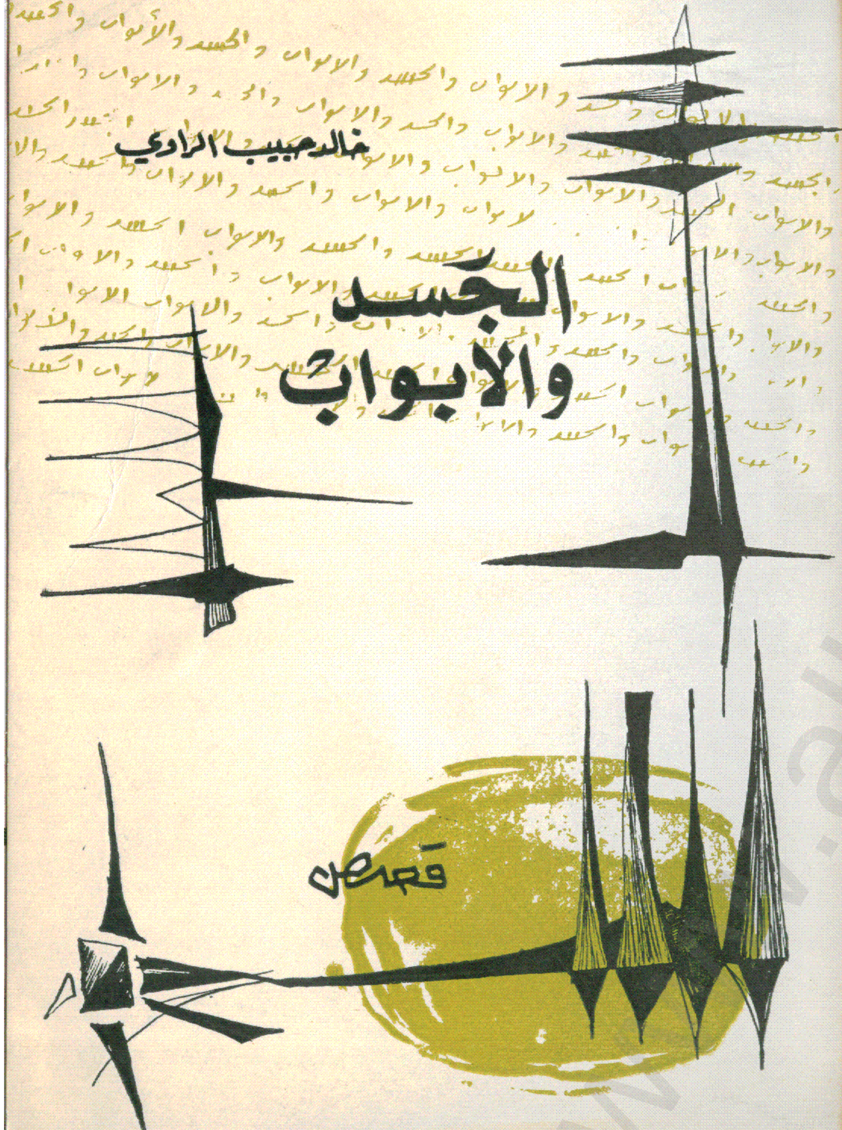
خالد حبيب الراوي

الجسد والابواب

قصص





تصميم : مؤيد الراوي

طبع الغلاف : في مطبعة دار الساعة

السعر : ١٠٠ فلس

الجسد و الأبواب

خالد حبيب الراوي

الجسد والأبواب

قصص

١٩٦٩

مطبعة الغري الحديثة - النجف

يبست القرية فجأة : الأبواب موصدة ، والشبابيك محكمة الاغلاق . .

توقف الرجل الغريب وسط الشارع الخاوي ومد عينيه في الهدوء : .

كان قد ترك المدينة الكبيرة هارباً من رجال الشرطة . . انه مطلوب - بزعمهم - لاخلاله بالامن : سياسي مناوىء .

تساءل وهو يرفع عنقه الى الشمس المنحسرة على السطوح ماذا حدث ؟ :

وتقدم الى باب قديم يعرفه وقرعه : :

رنين وحشي :

ورجع خطوة .

ثمة ريح تنسكب في الدروب بروية :

دفع الباب بكفه . وتقدم نحو الشباك الخشبي ودفعه ،

ثم اقترب من الباب ثانية وصاح :

ـ عزيز : . عزيز : :

وتناهت اليه من نواح نائية اطلاقات نارية : :

عاد هـذه المرة بتصميم لدق الباب : لكنه انحنى بغتة الى الى الثقب وسطح نظره : .

لم يبصر شيئاً . . لكن ظلمة مـا انسحبت من الجـهة الأخرى . فتـكشف جوف البيت . ان شخصاً مـا كان ينظر اليه :

اعتدل وهو يهتف :

انا محمد : : افتحوا : :

حدق في العجوز الواقفة في فتحة الباب ودفع لها يده :

ـ كيف انت ياعمتي :

وضعت العجوز كفها الضئيل في يده :

ـ ليس على ما يرام ياولدي .

ـ هل حدث امر سيء ؟

ـ انقطعت اخبار ابني : : كان يزورنا خلسة في الليل : .

اما الآن وهزت رأسها :

ـ فلا .

غمرها بالطمأنينة وهو يتقدم في الداخل :

ـ انه بخير . : سمعت احد الوافدين من هناك يتحدث عنه قبل يومين .

تمتمت العجوز خلفه :

ـ الحمد لله :

وقف الرجل على باب الغرفة الداخليـة وحدق في العجوز متسائلا : كانت امرأة جالسة في الزاوية تتفحصه وطفل صغير اسند رأسه على ساقها .

كشفتها العجوز :

ـ انها جارتنا : : قتل زوجها في الجبل : ولم يبق لها احد فجاءت معي :

طرح الرجل دخوله ، الى وجهها الحلو ـ بود : وقال وهو يجلس على الارض قبالتها :

ـ هل انت بخير ؟

تلت المرأة كلمات شكر غامضة . .

التفت الرجل الى العجوز .

ـ مابال القرية مقفلة ؟

ـ منذ ايام ورجال مجهولون يأتون من السهل . يقتحمون القرية وينهبون . ثم يفرون الى السهل .

اندهش حانقاً :

ـ والرجال هنا . . ماذا يفعلون . . ألم يبق احد منهم ؟

هزت العجوز رأسها نفياً .

كانت الظلمة تثقل في الخارج .

طلب الى العجوز :

ـ هل اضيء الفانوس ؟

نفرت العجوز هابة :

ـ لا . . لا . . لا نريد ان يكتشف اولئك الرجال ان بيتنا حي . . سنتناول طعامنا في الظلمة .

وفتحت قدراً نحاسياً كبيراً . ناولته رغيفاً وتفاحة :

: اعطها لها .

وقدمت المرأة المنزوية جذعها اليه .

ثم اخذ حصته .

اسند ظهره الى الحائط وهو يقضم التفاحة . نظـر بعينين

نصف مغمضتين الى المرأة المنكمشة . ولحظها عبر جفنيه المنكسرين تلمسه بعينيها .

طفر من حلقه السؤال .

ـ منذ كم مات زوجك ؟

: وفتح عينيه بكاملهما في وجهها

اجابته العجوز :

ـ منذ خمسة اشهر :

انه يقيس المدة :

ـ زمن طويل .

واغمض عينيه ثانية :

(متوحدة في جبل الموت . .

لن تشرق شمس ما في غدها)

كح الصبي مرتين طويلتين ـ هتفت العجوز :

ـ اذهبي به الى فراشه ـ وسألحق بك ـ اما انت . فسأجيء لك بفراش .

نهضت المرأتان وتدلى الطفل وهما تعبران قرب قدمه . .

: (السلاح في الاكتاف

والدم يبحث عن الدم).

اسقطت العجوز فراشاً مطوياً بجانبه :

مد ذراعيه :

ـ اتركيه : . انا سأرتبه :

ووضع في اذنها قبل ان تخرج :

ـ سأقيم هنا زمناً ثم ارتحل لأنضم الى الآخرين في الجبل :

وحين تغيبت العجوز سحب الغطـاء الى صدره ودس يديه تحت رأسه : .

الريح في الخارج تحمل معاطف الثلج للارض : لا شرطة ولا سجن في هذه القرية النائية . انه الآن يهتم بسماع تنفسه حيث لم تعد عيناه تبصران قشرتيها :

شدت اصابع متصلبة من الذعر زنده :

ـ محمد : محمد .

كانت العجوز منحنية فوقه . والمرأة الأخرى وسط الغرفة.

ـ الا تسمع ؟

شد جمجمته للاعلى متسمعاً .

ـ لقد جاؤا .

أنت العجوز وهي تنسحب الى جانب المرأة .

اقترب الضجيج من البيت واصبح قرب الباب :

همست العجوز : اش :

ثم ابتعدت الخطوات تماماً عن البيت :

سحبت العجوز نفساً طويلا مرتجفاً .

دوت اربع اطلاقات .

ـ من السيء الحظ الذي كسر بابه :

امتص الصمت وجوههم :

ومرت اقدام كثيرة تركض خارج الباب : وصوت نسائي يصرخ مستنجداً :

حدقت العجوز بوجه الرجل :

ـ لقد نهبوا جسداً آخر . وربما هاجمونا غداً :

بقي الثلاثة واقفين . وانحنى الرعب مفرقاً جسد القرية مرة اخرى : والريح ما زالت تحمل معاطف الثلج للارض ، والأحياء :

* * *

لم يبق على انطلاق القطار . الا دقائق ضئيلة . .

انتبه الرجل النحيف الذي يقف الى جانب القطار : رجل يتكيء على حائط المحطة القديم يرمقه .

ومن جانب آخر تعلقت به انظار بائع يرتدي دشداشة مخططة على رأسه حلقات من السميط .

تضخمت رهبته لتأخر المسافر الذي اتفق معه . :

تحرك بائع السميط وكاد يلامس الرجل النحيف راصداً الحقيبة الصغيرة التي تدلت من يده : ودفع ناحية صاحبه المتكيء على الحائط اشارة سريعة :

اعتدل المتكيء ببطء وفرك يديه : تقدم خطوات ووضع كفه على ساعد الرجل النحيف وقال بصوت خفيض :

ـ افتح الحقيبة .

اجابه النحيف .

ـ لن افتحها : من تكون حتى افتحها لك ؟

طارت غمزة سريعة من عيني الشرطي السري مع كلماته المتدفقة الخافتة .

ـ سأرغمك على فتحها ان لم تفعل :

انزل البائع سميطه . ووضع كتفه في ظهر الرجل همس :

ـ دعه يفتشها بهدوء .

تلفت النحيف في المحطة .

كان المسافرون ينتشرون فوق الرصيف متناثرين :

اراد ان يجد له منفذاً ليفر منه :

ضغطت اصابع الشرطي على القفل ومد يده :

اغمض النحيف عينيه .

وأخرج الشرطي طبقة من المنشورات السياسية :

قرأ اسم الحزب ثم اعادها الى الحقيبة واغلقها :

علقها بيده اليسرى :

ثم خنق باصابعه ساعد الرجل النحيف :

ـ تحرك :

انتبه اثنان أو ثلاثة من الواقفين وتابعوهما بأنظارهم وهمـا يخرجان من باب المحطة وبائع السميط يمشي خلفهما كالظل :

قال ضابط المخابرات وهو ينظر اليه مستخفاً :

ـ تفضل استرح .

ثم أشار الى الشرطي السري :

ـ اخرج :

كانا وحيدين في غرفة وسيطة تضيف العتمة الى اثاثها القائمة نفوراً كبيراً : . استطرد :

ـ الله بالخير :

لم يجب الرجل النحيف : ظل متحفز العينين : منتبهاً في رعشته : في عبور الصرخات من الاقبية السرية باذنيه عنـدما جيء به :

سأل الضابط :

ـ من اعطاك المناشير ؟ :

كان الرجل النحيف يستحضر ذهابه للمحطة حاملا النشرات لمسافر الى البصرة . وكانوا قد كلفوه بايصالها له : فنفذ الامر وانتظر قدوم ذلك المسافر فلم يأت .

ضحك الضابط وهو ينظر الى الحقيبة وقال واعداً :

ـ يبدو عليك انك شاب طيب . اذا اعلمتنا عن الذي سلمك المناشير نعفو عنك .

هربت عينا النحيف .

انتفض الضابط صارخاً .

ـ انا اعرفكم . لا تتكلمون . انكم تموتون هباء . اعطنـا اسماء الذين تعرفهم في تنظيمكم .

رد النحيف :

ـ ليست لي علاقة بأي تنظيم : الحقيبة عثرت عليهـا في الشارع .

دوت ضحكة الضابط الساخرة ثم صرخ بسخط .

ـ هذا كلام اطفال . ابحث عن غيره . سنخرج اعترافك من عظامك .

وضغط على جرس بجانبه . ودخل الرجل الذي قبض على النحيل .

ابتدره الضابط : منذ متى تعرفه .

اجاب الطاريء : نحن نراقبه منذ زمن .

تلا الضابط : الم يكشفه لنا المسافر الذي لم يحضر :

ـ آه . اجل .

- انكم تكذبون :

ابتسم الطاريء بقسوة :

- ستنهار كالرمل : وتفتح الاصداف العليا .

كان الرجل منقوعاً بقسوة الصمود : والضحكات تتضاءل في اذنيه وهم ينحدرون به الى القبو :

* * *

الجدار وزهور البحر

دائرة ضخمة من الماء راكدة ، ابعادها الأفاق : مركب خشبي صغير ساكن : ورجلان شاحبان يتكئان على الحاجز ينظران في البحر الخامد :

الأول - لا تدع قلبك ينتظر ريح الخلاص :

الثاني - صمتاً يا رفيقي : لا تخلع عني الأمل : فالشمس مهما رمت اشعتها فستصطدم وتقف :

الأول - انك لم تطل على حل المسألة يا عزيزي : المركب ثقيل والريح واقفة : لا خلجان : لامرافيء نحن في البحر : هذا السرداب المظلم الذي تتزحلق فيه الى حتفك رغم مشيئتك :

الثاني - لا تكتم انفاسك بأصابعك الوجلة : قدتنشط الريح وتقذفنا

الى شاطيء مغيب عن اعيننا .

الأول ـ ارتو من هذه الخيالات الفتية واحش جمجمتك التعبى بها . (يغضب فجأة) . قم الى سطح المركب . دعـه ينتفض ويسير الى بر النجاة .

الثاني ـ (يتململ) ستسقط عيناك المتعبتان من محجريهما ان ظللت تصرخ : لم قواك واحفظها . (صمت) .

صوتك الصحراوي يسربني مع ارتخاء الريح المتلاشية :

ليكن صدرك المرتعش مملوءاً بالعزيمة وعامراً بالفتوة .

اننا سنبقى ما دمنا ساكنين مسخرين لارادة البحر : البحر الذي لا يعرف لهفة الفرحة ولا نشوة الخطوة الواثقة .

الاول ـ حسناً سأنتقل اليك خطوة واحدة وأضع بين كفيك هذا السؤال : اين نحن ؟

لقد خرجنا متجهين الى وطننا . ومنذ ايام هـاج البحر وحطم اتجاهنا واصبحنا معلقين في دائرة ضخمة من عيون الصمت المتربصة :

هيا افعل شيئاً .

مد ذراعيك في البحر وجذف الى شاطيء ما . وإلا هل نترك اجسادنا تضمر وتلفها كلماتك .

الثاني ـ اليأس يهدر في وحشتك :

ايها التائه : ايها التائه :

لا تقذف صوتك المحنو من الألم : فانه يتبدد في غربة لا اذن فيها :

الاول ـ امنح حروفك لكلاب البحر ايها الرفيق فستدهن بهـا عيونها المتعطشة الينا : هيا لنغن (في حنق موغل في اليأس)

هيا :

ايها الموت المنتظر خلف الامواج :

اعطني زورقاً لاجيء به اليك كيلا اجشمك عناء الانتقال، فلن ندع الزمن يتعبك من اجلنا لحظات عاقرة تلتقط بها ارواحنا وتمضي :

الثاني ـ ستزول ذرات وجهك الراسخ من التساقط يا رفيقي الجائع الى الخلاص :

انصت ألا تسمع شيئاً لينحدر الينا . خفيفاً وسريعاً .

مرتعداً كرفيف خفاش اطار صوابه نور متوهج .

الاول ـ لا اسمع شيئاً سوى صوت قلبي .

الثاني ـ قلبك !

الاول ـ انه يجأر :

ايتها الريح لا تسقطي على شاطئ البحر ميتة .

اني انحب اليك : هامي الى كياننا المتعب . ضميه وانطلقي به الى اي شاطئ حتى ولو كان صخرة عارية يتملكها غراب : الى ارض يابسة متشققة : لا تدعينـــا واقفين تتصادم اجسادنا لتبدد مطامحنا الاخيرة وامنحي هذا الرفيق الغريب بركتك القاسية ، لانه بلا قلب .

ـ يلتفت اليه ويحدق فيه ويقول ـ

اتعتقد ان تلك اللحظة التي جمعتنا تولدت طبيعياً : ام ان المدن الساحلية تقذف معرفة البعض على البعض بلا مقدمات؟

الثاني ـ لا افهمك جيداً .

الأول ـ كنت مديناً بنصف هذه السفينة الى مراب في المدينـــة وكان يريد بيعها : لماذا انيت واشتريت حصته ؟

الثاني ـ لاني كنت اريد الرحيل عن مدينة ملت طرقها وابوابها القديمة ويئست من اسوارها وشعر بناتها المجدول ورجالها المزيفين : مدينة الافواه الزجاجية التي تنخر الغبار : انها تعشق اسوارها التي تصد زهور البحار الزاحفة : انها تخاف من الشمس .

تباً للمدن التي تخاف من الشمس .

انني ابحث عن مدينة حقيقية في هذا العالم . ولهذا اتيت معك :

الاول ـ بدأت تلتصق بقلبي ايها الرفيق . انك الظل الذي يتقهقر في جانبي الخفي . والذي تنحسر اليه نفسي المنهكة :

الثاني ـ وانت ايها الرجل المرهق : ما مطافك ؟

الاول ـ لم اعصر عمري كما ينبغي . بل تركته يتسرب دونما رجعة : كنت اتبع رنين الدراهم تقودني الى كنز . كان الكنز وجودي . ولم انل اخيراً إلا سنوات يابسة تكلست على وجهي . وسيارة دين مفرغة نشبت في المركب ومزقت نصفه والآن نجوت من وهم رجوعي ثرياً انتفخ بعين قومي البسطاء سأمضي لأحيا . ولا اجر هموماً زائفة .

الثاني ـ اخالك القيت الخوذة الثقيلة عن رأسك . ان بعض الناس يجهدون رؤوسهم لأن تصنع طبقات من الجسد يطلون بها هياكلهم بلا احتياج او مبرر . يرون في طرقات المدينة بوقار وتؤدة . وجوههم صلدة : عيونهم حجارة . وحينما يدلفون الى منعطف ينحون القشرة فتظهر اجسادهم الحقيقية . انها الغلطة التي لا اغتفرها ان يملك الانسان جسدين : واحد يتعامل به مع الناس والآخر يتعامل به مع نفسه .

الاول ـ لا تقذفني معهم : انا صنعت نمطي باختياري التام : كنت

أؤمن ان الفرد ذو اندفاعة وعليه ان يبدأها باتقـــان .
ونهجت تحدبدي حتى افقدني البحر ارادة الماضي :

الثاني - اذن سنبدأ سوية . نجعل هذا الجسم الخشبي طائرنا ونكون نحن جناحيه .

الاول - ألا تعتقد اننا تأخرنا كثيراً . ألا تحس الجناحين يتهشمان :

الثاني - لا ادري ما ذا تخبيء الدقيقة القادمة . ولكني أؤمن بأن هذا الوقوف المريع يخلع العزيمة والاصطبار .

الاول - انظر الى الاقداح والاواني . انها جافة تبعث رائحة هجر الطعام والشراب .

(يدير رأسه في الافق الأحدب مالئاً عينيه المهمومتين من السماء المطبقة على البحر والمكونة زرقة لا مطاف لها) :

الثاني - انظر اليس هذا طائراً . انه يجيء من بعيد . يرتفع ويهوي على جلد البحر . انه يقترب من مركبنا . انظر : انظر : انه يحط على المؤخرة : هذا الطائر الاسود :

(يجلس الرجلان وهما ينظران الى الطائر الذي بدوره ينظر اليهما) :

الاول - ان صدره يكاد يتمزق من التنفس : انه يحدق فينا مرتعباً : ايها الطير العزيز من اين اتيت : اخبرنا . ما ذا وراء هذا الافق :

(ينهض ليمسك الطير فيقعده صاحبه) :

الثاني - لا تذهب اليه فتفزعه :

الاول - كلا سيمنحني الجواب الذي أتمناه : ايها الطير دلنا على الطريق :

(يفلت من اصابع صاحبه وينطلق الى مؤخرة المركب حيث الطير وينحني ليمسك به فينقلب الطير مضطرباً ويحرك جناحيه لكنه يسقط في البحر) :

(الأول ينحني من فوق ويحدق في الطير الذي مات) :

الثاني - لا بد انه وافانا من مكان ناء فهو مرهق جداً :

الاول - لا تامني ان دفعته الى هلاكه : اريد مرفأ ينساق الينا يكشف لنا وراء ذلك الأفق الراكد في اغوار البحر :

الثاني - لا تشغل فكرك بهذا الامر . انه لو بقي يختـــلج لمات : فالنضال التائه يورث الحسرة :

(يقترب الرجل الاول من الثاني) :

الاول - انك نزعت عني جلداً غليظاً . القيته عني بسرعة لم اكن اتوقعها :

الثاني - الحقيقة غالباً ما تفسد ما يبنيه الانسان في خلوته من امان بهيجة واحلام رخية : الحقيقة دائما صلفة لا تقيم وزناً

لأية سلطة .

الاول ـ اخذت ارى الهواء الذي اتنفسه . آه . وصلت عيني الى آخر نقطة في عري الاشياء .

الثاني ـ يولد اولئك الناس ليقفزوا من فوق الاسوار عراة ويلبسون احذيتهم في رؤوسهم اذا طلب منهم : من اجل بقعة ضئيلة لا يأبه بها الآخرون . انما يدوسون عليها بعد ايام وربما يبصقون عليها .

الاول ـ اغلق جدول حديثك هنيهة . وانظر : اما زال الطائر طائفاً .

الثاني ـ (يجرجر خطواته) : اجل . انه مقلوب على ظهره . منقاره يأبى الغرق .

الاول ـ انتشله . فقد ينفعنا هذا البائس في ركدتنا المميتة هذه ويؤجل نهش احدنا للآخر .

الثاني ـ يأبى ظلنا الا ان يتشبث خلف الاسوار صامداً في وجه عدو موهوم يحارب بألف سيف . ظل وجهه يكره قفاه . ظل وجهه يقاتل قفاه . اذهب بعيداً واغرب عن عيوننا ايها الطير الاسود . اذهب . فعند ما فتحت عيني وابصرت الشمس وقال لي صاحبي ـ ها قد وصلنا الآن . تيقظت وابصرت جسدي الظمآن موثقاً في البحر ينتظر

الموت . الآن اسفرت الرحمة عن وجهها المرائي .

(ينحني منقباً عن آلة يلتقط بها الطير الاسود فلا يجد شيئاً ويعود) .

لم اجد شيئاً ما ارفع به جثمان صديقنا الغريب .

« ينظر ثانية ثم يصيح » .

الأول ـ تعال انظر . انه يبتعد عن مركبنا . ينزلق على رعشة الامواج .

« يقف الرجل الاول ويسحب جسده الى الحاجز » :

ـ انه ينجاب كثيراً .

الثاني ـ (بفرح) : البحر يتحرك

الاول : انه يضطرب فيهز مركبنا النائم ويدفعه . يندفع . يتمايل . البحر يتشنج والشمس التي تغلق الافق على البحر تفك القيود عن مركبنا . يا الهي دعني اسجد لك سجدة تليق بتحنانك .

الثاني ـ لم فرحك ايها المتهالك : ايها الشقي . البحر يسحبنا الى رغبته السرية .

الاول ـ ما ذا تقول ايها الغافل .

الثاني ـ اين تمضي ايها البحار الماهر ! ! ان رغبة البحر المجهولة تسيرنا .

الاول ـ لا تأبه فهذه الامواج التي لا عقال لها قد تدفعنا في غسق صاف الى جزيرة او شاطيء ما . وقد تدفعنا الى ارض متوحشة .

آه لتقذفنا الى اي مكان غير البحر . فعلى الارض نستطيع ان نقاتل ونحيا . ولكن هنا في البحر ، تلطمنا الموجة فننحني لها ونتضرع .

لطالما جال بفكري سؤال هو ـ ما ذا بعد وصولنا الى نتيجة عبقرية مذهلة ؟ نفرح : نتفاخر . نكتئب . ماذا ؟ هل تستطيع اجابتي ؟

الثاني ـ لماذا يولد الانسان ليموت ؟ هذا هو الجواب الثمرة .

الاول ـ ان الكلمات لتتحشرج وهي تخرج من فم مبيس : افضل لو نرقد قليلا حتى نتدبر امرنا عند ما يلوح لنا سبيل نجاة :

ليتمدد الاثنان على ظهر المركب ويأخذان مقطعاً طويلا من النوم . وبعد ساعات يرفع الاول رأسه ويهز الثانى فيجلسان . .

الاول ـ لاشارة تؤملنا بالنجاة . لكننا سنجدها . سنجدها . هكذا تحدثني هذه الدقات المتلهفة .

ـ يقرع اضلاعه ـ

الثانى ـ : . : :

الاول ـ سأبيع حصتي في هذا المركب وانطلق في البر متبعداً عن هذا الوحش . فهل تشتري ؟

الثاني ـ انا ؟ كلا بالطبع . فقد تورطت واعطيتك رقبتي :

يظهر في ختام الافق صار بحجم الاصبع ثم يكبر ويكبر حتى تظهر باخرة كبيرة . يفتح الرجلان صنبور حجرتيهما بصرخات الى الباخرة التي يقف على ظهرهـا جمع من البحارة ينظرون اليها . ينزل تجاهها زورق انقاذ كبير : يلتصق الزورق بمركبهما : ويقول الاول لرئيس البحارة :

اين هي وجهتكم :

رئيس البحارة ـ سنعبر البحر الى الجنوب :

الاول ـ خذوا معكم واتركونا في أول مرفأ :

ـ ينهمك البحارة بربط المركب الى زورقهم ليوصلوه الى الباخرة .

ـ رئيس البحارة ـ اقرب مرفأ يبعد مائتين وسبعين ميلا :

يلتفت الرجلان احدهما الى الآخر ثم يتصافحان ويقول الاول :

ـ وداعاً ايتها الايام الكدرة :

يلتفت الثانى الى البحر ويقول :

ـ لنا وحدنا الحق في ان نكتب مانشاء عن حياتنا : فنحن الذين خلقناها : وهي لنا بحذافيرها :

الحائط

كان البيت بعيداً عن المدينة . قرب خط الحديد على الشمال الشرقي منها : لا تحيط به سوى ارض صلعاء ينسكب فيها ظل طريق : وكانت الشمس منتفخة تقلي ذلك البيت اللامنتمي :

انسرب رجل نحيف الى الخارج حاملا (علاقة) خوصية بصوت رفيع انقذف من نافذة مفتوحة صرخت امرأة .

ـ كن يقظاً لئلا يسرقك تجار المدينة .

قهقهة بصوت متخشب :

ـ يسرقونني ؟! :

تسطحت على شاشة النافذة فلأتها .

ـ سينهبونك وانت تنظر اليهم .

ـ لا تسيئي بي الظن :

تلا كلماته المخنوقة وهو يمسك بدراجة هوائية شد على مقودها العلاقة . ضرب مقعد الدراجة بكفه :

ـ وهذه الدراجة العظيمة : هل سرقت فيها . لا يحصل المرء على مثلها الا نادراً . رخيصة كالهواء :

ـ ما زلت مرتابة ببائعها .

هدر بضحكة طبلية وهو يسحب الدراجة عن الحائط :

ـ انت ترتابين ابداً .

ثم ركب الدراجة ومشى :

مسحت بعينيها خط الحديد الباهت ، ومن بعيـد كانت المدينة ، الدور ، الاشجار ، اعمدة النور والهاتف :

امتلأت بالحنين :

الحدائق والصغار : وعلى كرسي منزو يجلس عاشقان :

وهناك : الاقدام التي لا تقف : المدينة : المدينة :

ركزت في خط الحديد :

: : منذ ستة اشهر بنوا المنزل واسكنونا ليقيموا مشروعاً للدواجن : لكنهم لم يبدأوا : واخالهم لن يبدأوا ابداً : ونحن وحيدان ، ان لقمة العيش تفرض ارادتها :

تضخمت كتلة المرأة في النافذة :

- هذا رجل . يتعجل دراجته الى منزلنا . ترى ماذايريد؟

اوقف الرجل الغريب دراجته على صفحة الحائط . وتنحنح

همست بقلق :

- لا اعرفه . ولم أراه من قبل .

اندفعت الى اذنها رنة طرقة .

هتفت :

- نعم .

طرقتان اخريتان .

اكتسحت هيأتها بنظرة وعدلت ثوبها .

اندفع الباب من الخارج مكتسحاً يدها الواهنة .

- السلام عليكم .

كتل من الصدأ تعلو الصوت .

رجعت الى الوراء خطوة .

- اهلا .

- سمعت ان زوجك اشترى بالأمس دراجة .

اجابته ورعبها يرتخي .

- اجل .

- كانت دراجتي . سرقها الصبي الذي يشتغل عندي .

وعندما قبضت عليه دلني الى هنا .

كأنانه سقطت دون حنق .

ارتبكت المرأة .

- سيعود . ما دام الأمر هكذا ، فتأخذ دراجتك .

ارادت ان تبني جداراً .

- عندما اطل الصبي كانت عيناه تحومان . امسكت بزوجي وقلت له : انه مريب . لكنه رمقني بغضب : دراجة بدينارين ادعها تفوت ؟ . واخذ يقنعني . قد يكون محتاجاً للنقود . وقد ثم ان دراجتنا القديمة تهرأت .

كان الرجل يتابع فمها . يفتح . وينغلق .

تقدم اليها .

ارتعشت اجفانها . صرخت :

- ارجع .

وثب عليها . انفجرت اصابعه في ذراعها . وانفاسه تحرث اذنيها : لا أريد الدراجة .

تجمعت قواها في كوعها وضربته في اواسط صدره .

- وركضت الى الخارج .

ناداها الرجل .

- لن تنجي . اين تفرين ؟

انغمرت بجذور الشمس :

- اخرج . سيحضر زوجي : لا نريد زرع الشر .

التفتت الى الشمس . كانت ناراً تلتهب في رأسها :

وبدأ من مسافة وسيطة من الجوف الشرقي ثلاثة فلاحين يسوق كل منهم حماره .

تذهب في الحال والا ناديتهم :

قال - انتظري :

- لن انتظر . اذهب الآن :

- - اني ذاهب .

وتلكأ قرب الباب الآخر منتظراً دخولها : الا ان الصوت دخل وحيداً - اسرع :

ركب دراجته وابتعد . دخلت واغلقت البابين : كنست ما تعلق بوجهها من عرق براحة يدها . واستندت الى النافذة تنظر :

كان الرجل قد توقف ثم استدار عائداً الى المنزل :

- انه مجنون .

سددت حنقها بنظرة غاضبة :

اقترب من النافذة ثم صرخ .

- خبري زوجك . سأحضر : عصراً لاسترجع دراجتي :

لم تجبه . استدار واضحى نقطة في الافق .

الكلب

كلب آخر ميت : رمقه بحيرة ثم ادار وجهه وبصق :

وعاد ينظره ويتفحصه :

رصاصتان : الأولى تحت الاذن والثانية في الصدر :

رفع يده عن عربة القمامة : وحك بأظافره جلدة رأسه :

كان الفم مفتوحاً منغرساً في التراب :

ركله فقلبه على ظهره ورجع الكلب يميل منقلباً الى الجهة ذاتها .

- من من هؤلاء المترفين قتله ؟ لم يفتح اي باب حتى الآن .

اخذ يدفعه تحت الحائط : ثم توقف :

ماذا لو خرج الضابط البدين صاحب هذه الدار ورأى الكلب تحت سور بيته . سيصرخ بي ان احمله والقيه بعيداً :

وسأجيبه بأننا سنتخلص منه عندما تحضر سيارة القمامة :

دس يده في جيبه :

في الاسبوع الفائت وجد كلباً ميتاً قرب بابه . فعلقه الضابط بالشتائم . فسحب الكلب بصمت ورماه في شارع آخر يتعهده زبال غيره .

وعندما دفع عربته كان الضابط يحدث جاره :

ـ هؤلاء الميتون لا يعملون اذا لم تضربهم .

كركرت العجلات .

(لا يعملون الا بالضرب) .

ـ زبال .

ارتفع الصوت الفظ منادياً . استدار . وامتلأت عيناه بالضباب .

(ماذا يريد . الكلب ليس تحت حائطه)

ـ الا تسمع .

: هتف الضابط . حيث انتصب بمنامته قرب حرف الباب.

ـ تأمر سيدي .

: همهم الزبال .

ـ تعال هنا .

ارتعش :

يريد ان يصفعني ويركلني وربما يخبيء عصا ضخمة وراء الباب .

مدّ نظره في الشارع الطويل : وكانت امرأة مغطاة بعباءة سوداء آتية من نهاية الشارع .

كان على استعداد للاستدارة هارباً عند اية حركة مفاجئة :

ارتد الضابط قليلا واختفى جذعه خلف الباب :

تشنجت عينا الزبال :

(سيلتقط العصا)

تراجع خطوة .

ـ احمل هذه التنكة .

قد تكون خدعة : يريد ان ادخل فيغلق الباب ويضربني :

بل ربما رماني برصاصة .

ـ تعال : انك بطيء :

تقدم بحذر :

دفع رأسه وحدق في التنكة : ثم دخل :

ـ هل انت ميت ؟

طوى الضابط حديثه :

ماذا ؟ تصلب ظهره وبقي ممسكاً بالتنكة ومؤخرته النحيلة مرتفعة .

ـ الا تقوى على رفعها ؟ :

ثار الضابط :

سحب الزبال نفساً عميقاً ـ عبر مسرعاً وافرغها : ثم مـــر بجانبه ووضع التنكة على الأرض بأناة واندفع الى الخارج :

سأله الضابط :

ـ في الليلة الفائتة كان هنا كلب ؟ :

واشار بيده الى مكان الكلب المقتول :

ردد الزبال ـ نعم :

شزره الضابط ثم تلفت ناحية حائطه .

ـ كنت نازلا من السيارة فهجم عليّ : ولم اجد بدأ من قتـله :

ابتعد الزبال نحو عربته :

ـ رأيته يسقط امامي ميتاً : اين ذهب .

سلط عينيه :

ـ ذاك هو :

: أشار الزبال :

وبصوت ثلجي بنى الضابط السؤال .

ـ لماذا ترميه هناك ؟

هرع الزبال صوب الحائط وامسك بذيل الكلب :

وسحبه بعنف :

ناداه الضابط ـ اين ستذهب به :

لم يلتفت اليه .

وكان ثمة خط متعرج يتعرى بين التراب خلفه :

* * *

الشاحنة

اندفعت عربة النفط الخضراء التي يجرها حمار ضامر ـ مرتجة وهي تعبر السدة الترابية المقوسة وقد اعتلى طرف البرميل القابع عليها ـ فتى كالح الوجه : .

قرع القطعة المدورة المثبتة بالخشبة ، المعلق بها اللجام بقضيب حديدي قصير بقوة و هو يلقي انظاره الى الأكواخ الكابية الممتدة كالمقبرة .

ومن زقاق لا يتسع لمرور حصانين امتد رأس رجل ملفوف بيشماغ يصعد وينزل بين السقوف متجهاً ناحيته : ومضى رجال آخرون من أزقة مختلفة منحدرين الى المدينة الكبيرة التي تحيا في جانب السدة الثاني :

تفرس بائع النفط بالرجل الآتي من الزقاق حـــاملا بيده صرة قماشية مكورة : هتف به .

ـ خالي . انك تبكر بالخروج : لا زال للفجر ساعة :

رمى الرجل الصاعد بعينيه الذابلتين الى الفتى :

ـ بالامس لم اعمل ، وقبله : وفي الاسبوعين الماضيين لم اشتغل الا ثلاثة أيام .

ظل يتشربه بنظراته : أتم الرجل الملطخة ملابسه ببقع بيض واطخ جصية :

ـ الاعمال قليلة والايدي اكثر من الرمل :

انسرب بعض الرجال وقطعوا السدة نازلين الى المدينـــة ، فتح الشيخ كلماته :

لم يحالفني الحظ في يوم ما بالاستمرار في عمل دائم فأخذت اقف منتظراً المقاولين ، وحتى في هـــذا لم افلح فصفوف من الشباب ينافسونني : يلتقطهم المقاول : يملأ بهم سياراته ولا يراني ،

هز الفتى القضيب الحديدي بغضب : واندفعت زخة من عواءات كلاب تراكضت بين الازقة مبتعدة :

حرك الشيخ رأسه .

ـ سأذهب : ربما سأعثر على عمل في هذا الصباح :

اجابه الفتى :

ـ وأنا سأغدو الى المحطة لاملأ البرميل .

رفع الشيخ يده مودعاً وهو ينحدر من السدة رافعاً جانب (دشداشته) الايسر قليلا .

وعلى رصيف ساحة مسورة تبعثر عدد من الرجال الحفاة ، السمر الوجوه :

إندس الشيخ بين رجلين مستندين على الحاجز ينظران الى فوق وقد أمحت النجوم وبدأت الظلمة تنضوي وثمة ارتعاشة من نور انطلقت تشفف السماء :

ترقبت عيون الرجال الطريق الذي يلد سيارات المقاول الثلاث كل فجر .

همس رجل :

ـ حان الوقت وسيظهر في اية لحظة . لابد لي ان احصل على عمل هذا اليوم : سأرمي بنفسي وراء اول صاعد وليكن مايكون :

حك مخه صوت رجل عابس :

ـ وانا اذا صعدت فلن انزل ولو ضربني بخنجر : يكفي ما تلقاه :

ـ ببرود عاجز سأل صوت آخر :

ـ الترديد اليومي الذي لا يتغير :

تصايت حركات الرجال وهم يزدادون حدة في مراقبة الطريق .

سقط بينهم صوت بوق سيارة قادمة من المنعرج : تقارب الرجل والتحموا في اول الطريق :

وانسابت سيارة غريبة :

حدق بها الرجال ببرود وانفك تلاحمهم ، لكنهم لم يتفرقوا بل ظلوامتلازمين وكل منهم يحمل صرة طعامه بيده .

ودوت ثانية أبواق قريبة . فتجمعوا من جديد بتصميم :

ونبعت ثلاث سيارات (بيكب) وتوقفت حذاء الرصيف :

مد القاول رأسه وبرزت عينه التي تعلوها غشاوه محدقاً :

ـ اليوم يكفينا خمسة عشر : وأنتم تزيدون على الثلاثين :

حسناً سأختار .

اصعد انت .

وأشار الى رجل صلب العود : فأسرع الرجل باعتلاء السيارة .

ـ وأنت : :

ـ وانت : :

اخذ الرجال يصعدون والشيخ لا يحس بعيني المقاول تقتربان من وجهه .

التف من خلف الرجال الواقفين وقفز الى مؤخرة السيارة رمقه المقاول وصاح به .

ـ تمهل . . اين ؟ .

لم يجب . واختفى بين الجالسين .

اخرج المقاول رأسه بكامله وصاح .

ـ انزل . من قال لك اصعد :

فتح المقاول الباب حين لم يجبه واستدار الى خلف السيارة ثم مد ذراعه وأشار باصابعه الى الشيخ :

ـ انت . انزل . انزل .

جر الشيخ جسده من بين الرجال بتخـاذل . ومضى الى السور .

وانطلقت السيارة . وعاد الرجال الى محلاتهم السابقة ينتظرون من قد يكون بحاجة الى خدماتهم :

هصر الشيخ الصرة بين كفيه . وخداه يرتعدان :

* * *

رجفة في الضوء

انقطع المطر لكن ظلت تتهدل من بطن السماء الكبيرة غيوم سوداء مضطربة ، تزحف ببطء نحو الشرق :

وقرب باب مسجد تسمر شخص ناتيء الوجه انحنى ظهره قليلا للامام وتشابكت كفاه واختبأتا في بطنه :

الريح الباردة سريعة في الدرب :

لفت الرجل عنقه من فوق سور المسجد المظلم وقرع الباب الخارجي .

الريح تجرف رنات طرقاته :

اهتز جسده وازداد التصاقاً بالحائط :

قبل ساعات طرده صاحب الخان الذي يسكن فيه بعد ان استولى على تختته الخشبية واصباغ الاحذية :

قال له : ما دمت لا تملك اجرة منام الشهر الفائت فهذه الاصباغ والسخنة رهن عندي حتى تجيئني بالدينارين التي اطلبها ؟

وخرج من الخان لا يملك إلا ذراعيه .

مر لوري يدوي مملوء بشرطة مقرفصين وعندما ابتعد مرقت من الجهة الاخرى سيارة صغيرة .

ـ ما بال بيت الله مغلقاً .

حك كفيه بسرعة ثم نفخ فيهما نفخات متصلة وطويلة .

صاحب الخان العجوز الحاد العينين جرده من أدواته . ولم يستمع الى تضرعاته . كان يريد امهاله يومين يسدد بعدهما دينه ؛ لكن العجوز اعتبرها كماطلات الآخرين التي لم يعد يصدقها .

البرد يدخل ذرات جسده متوغلا الى العظام .

اراد ان يجد له مكاناً آخر .

حك اذنيه وارنبة انفه ودس يديه في جيبي سترته المتآكلة ؛

ترى لماذا لم يتمهل في ارسال النقود الى امه ، لو تمهل يومين او ثلاثة لكان قد سدد اجرة الخان ثم ارسل ما تبقى عنده ؛

كان متعجلا ومضطرباً . نار الحرب غمرت قريتهم ؛ فالتجأت امه واختاه الى قرية مجاورة . وهناك كان كثيرون مثلهم جاؤوا من قرى متعددة مسحتها القنابل . الطعام هناك قليل ونادر . وثمنه

مرتفع للغاية ؛

البرد يتضخم ويتوالد اضعافاً ؛

حين عاد في المساء الى الخان تسلل من جانب الحائط مبتعداً عن غرفة العجوز المضاءة بفانوس قوي والمفتوحة الباب دائما فوارب الباب الخشبي الغليظ وابصر في الظلمة الرجال الثلاثة نائمين فتسلل بسكون وارتد الباب مطقطقاً خلفه .

كان يحس بفرح كبير لأن صاحب الخان لم يشاهده ؛

وبغتة اندفع الباب بعنف بعد دقائق وظهر صاحب الخان العجوز وبيده فانوسه القوي . اغمض الصباغ عينيه فوراً ؛ ولم تفت العجوز انطباقة الجفن الخاطفة ؛

قال له :

ـ ها كاكة حسن ؛ اين الايجار ؟

لم يجبه حسن بل سحب نفساً طويلا ؛

تقدم اليه صاحب الخان وركله بقدمه ؛

ـ لن يفيدك النوم ؛ هات الايجار ؛

فتح حسن عينيه باندهاش زائف وتملى باستفهام ؛

احتد العجوز .

ـ الايجار .

اعتدل حسن في جلسته وهو يلم اصابع كفه اليمنى :

ـ امهلني يومين ثم اعطيك الايجار :

اجابه العجوز .

ـ يومان : لا : هاتها الآن :

قال حسن :

ـ ليس لدي الآن شيء :

قال العجوز :

ـ انهض لأفتشك .

وقف حسن فوق فراشه المفتق وفتح الرجال النائمون عيونهم :
دس العجوز يده في جيوب حسن ولم يعثر إلا على تسعين فلساً وضعها في جيبه : ثم التقط التخت الخشبي والاصباغ وقال له

ـ هذي عندي رهن : اطلع واجلب الايجار ثم تعال خذها.

اراد بيأس ان يستوقفه :

من اين سيجيء بالدينارين في هذا الليل : رفاقه في الغرفة مفلسون دوماً :

خرج يسحب خطواته مرغماً :

اصطكت اسنانه :

الحركة توقفت في الشارع تماماً :

رفع عينيه المرتجفتين مرة اخرى من فوق السور :

ثم امسك الحافة واستطاع ان ينقلب الى الفناء الخارجي للمسجد واقترب من الباب الداخلي وقرعه بقوة .

لا جواب :

رعود تتفجر في السماء وبروق تلتمع في نثيث المطر الذي اخذ ينحدر الى الارض :

تكور حسن قرب الباب واتكفأ على جانبه وركبتاه تلتصقان بصدره ، ورجفة حادة تهتز في جسده :

تكاثرت الرعود والمطر اخذ يشتد :

* * *

المتربصون

انحدرت شبكة من حمام رمادي قبل غروب الشمس ؛ وقفت على المئذنة ؛ وانقذفت تكبيرة المؤذن فتناثرت هاربة الى الآفاق ؛

ازاء باب خشبي مسود استطال رجل ، امسك باحدى يديه حديدة مثبتة على الباب وراح يقرع ؛ وتدلى من يده الاخرى زنبيل طافت في قاعه رؤوس بامياء وطماطم وقطعة لحم ملفوفة بورقة ؛

طقطق المزلاج الخشبي عند رفعه وصرّ الباب :

سقطت عينا العجوز الملتفعة بفوطة سوداء على الزنبيـل ؛

انحنت والتقطته ؛

صر الباب ثانية وهو ينغلق على درب ضيق خال :

قالت العجوز بعد ان غرزت يدها الى معصمها في الزنبيل وجست قاعه :

ـ جاء سيفو اليوم وهددنا بأنه سينشرنا على حبال المدينـة اذا لم نخل بيته ونرحل ؛

ـ ما ذا يعني هذا الحوذي ؛ مؤجر القبر ؛

لملمت العجوز اطراف فوطتها وطوحت بطرفها على كتفها ؛ انزلقت كلماتها :

ـ قال انه سيذهب الى المقهى ويهتف هناك بأنك تشتغل في الشرطة السرية وانك السبب في حبس اولادهم ـ اذا لم ندفع له اجرة الشهور الخمسة الماضية ؛

انكمش الرجل ؛

ترك اقدامه تدب الى الغرفة المظلمة ؛

كانت عينا العجوز مصوبتين عبر الباب اليه .

قلب الفراش .

مد يده في جارورة ؛

ثم وقف على الباب : سعت اليه ؛

ـ ما عاد بمقدورنا البقاء ، لنرحل ؛

كانت عيناه غارقتين في الجدار المقابل ؛ توسعت حدقتاه ؛

ـ اصمتي

امتدت يده تتسلق الباب بتشنج وثمة عرق بارز يهتف في

رقبتــه :

ارتعشت شفتاها :

ـ لا جدوى من البقاء . ولن يكلفنا الرحيل خسارة :

تقدم نحو الباب الخارجي عابراً الممر :

ـ قلت لن نرحل : اصمتي :

ثم انسد الباب على خطوات مبعثرة .

امسك سيفو لجام حصاني عربته على مقربة من باب محطة القطار . محدقاً بالوجوه العابرة وهو متربص على فوق مقعده .

هجمت عيناه الى اليسار (الصوت مألوف للغاية) .

ـ اهذا انت . والسلام عليكم .

ـ جئتك لتنزع ريشي .

ـ اي شر تلمع به عيناك في هذا المساء . اذهب ودعني واقفاً على باب الله .

ـ سيفو ثبت سوطك وانزل .

كان الرجل رافعاً رأسه وسيفو مستدير اليــه بنصف ظهره وركبته مرفوعة وبيده اليسرى انتصب سوط .

سحب سيفو اللجام معتدلا وهو يهتف (ديخ) .

تحركت العربة خطوتين .

قفز الرجل على يد سيفو وجر الزمام بعنف ولوى عنقي الحصانين .

ـ سنرى من سيتعرى في المدينة :

مرت سيارة بانطلاق رصاصي رامية اشعتها على الرجلــين الواقفين في الظلام .

المحطة اقفرت . والحارس مقرفص على الباب .

نظر الحوذي بثقة .

ـ مثلما تريد لحقوقك الا تضيع . كذلك لا اريد انا .

ـ ستندم .

ـ ستدفع اجرة خمسة اشهر . والا فسأشكوك الى الحكومة .

ـ الحكومة . ههها . أتظن الحكومة تفتح اذنها لحوذي وتغلق الباب على شرطي .

وضع الرجل قدمه على سلم العربة الرفيع ممسكاً طرف المقعد بيده اليسرى . وظل خاب ينحدر من قبضة اليد اليمنى .

صرخ الحوذي بفزع .

لا .

انقلب الى الجهة الثانية ليفر .

امسك الرجل بساقه وزحف اليه .

بقي الحارس نائماً على باب المحطة . وضفادع كثيرة تنق بين الحشائش .

نهر من الناس ينحدر في دروب المدينة : يلوحون باكفهم المنقبضة .

يسقط :

يعيش :

الموت : الموت :

نهر ينصب من اول المدينة ويغيب في الطرف الآخر :

همس صاحب مكتبة صغيرة في اذن صاحبه :

ـ من اين جاء هذا البشر الغاضب :

زم صاحبه شفتيه :

ـ لا أدري .

تقدم الاول الى باب المكتبة ثم كر راجعاً الى وسطها .

ـ عجباً الم يكن هؤلاء الناس انفسهم يصفقون للسلطة السابقة .

ـ لوى الثاني رقبته بلا اهتمام :

ـ هم انفسهم .

ـ يبدو انهم لن ينتهوا . مضى عليهم سبع ساعات .

صحح الآخر .

ـ بل اكثر من تسع ساعات .

ـ مسح الاول ذقنه براحة يده .

ـ من الخير ان ننصرف . فلا ادري ماذا يجيء الليل .

انهمك الشريكان برص الصحف والمجلات وادخال قناني المرطبات في صناديقها . ثم مرق الاول حاملا حقيبة جلدية سوداء يدوية .

ولحقه الآخر .

سحب الأول القمحي الشاحب ـ الباب الحديدي وضغط بكفه على القفل ثم انصرف الاثنان كل في اتجاه :

توقف الأول بعد امتار قرب مخزن مغلق :

الهتافات المتشنجة تضوضي والقطع القماشية المرفوعة تهتف :

الموت للخونة :

الموت للخونة :

رمق وجهاً مألوفاً لديه فارجع رأسه في العتمة :

ـ من الخير الا يشاهدني هذا الصديق القديم : انه لن يتذكر الصداقة حتماً :

ومضى الرأس المألوف منحدراً في نهر الناس :

قذف القمحي الوجه خطوة سريعة . تلاها بخطى طويلة في الظل ثم استدار الى منعرج وتوقف عند باب خشـبي مغرق في العتمة :

انسحب الباب شبرين فحشر القمحي الوجه جسده :

صاح به واحد من الداخل :

ـ اين انت ياسليم : خشينا عليك كثيراً :

حاول سليم ان يمزق الظلمة بعينيه : اجابه :

ـ ها انت تراني : لا أزال حياً ياحمودي .

قال حمودي :

ـ لقد قلقنا عليك ليلة امس الأول حين خرجت : فبعد ذهابك بدقائق انطلق مشطان من الرصاص :

ـ سمعتها ايضاً :

ـ لا احد يضمن مصيره في الليل . فأقصى امنياتنا ان يمر

ونبقى احياء الى الصباح :

تحركت اقدامها :

تقدم حمودي وفتح باباً جانبياً فترنحت ظلال نور من قعر سرداب :

وقف سليم خلف حمودي ونزل الاثنان بصمت :

وكانت شمعة كبيرة ترمي نورها على مطبعة صغيرة رمـادية اللون : صفت الى جانبها كومة عالية من المنشورات، وفي الجانب الثاني من السرداب جلس رجلان ملوحا الوجهين على تختين متقابلين وبينهما منضدة صغيرة فوقها ثلاثة مسدسات :

هتف سليم :

ـ مرحباً .

قال حمودي :

ـ تم طبع المنشور : اجابه سليم .

ـ اذن سنوزعه فوراً . قال حمودي .

ـ لا تتعجل . سنتأنى هذه المرة . فقد قبض في الصباح على نجم ومناضل .

التصق ظهر سليم بالمسند .

اتم حمودي .

- ومساء امس فتشت الشرطة دار كامل والثلاثة يعرفون محلنا .

اهتز قلب سليم . اكد بقنوط .

- ان يعترفوا ولو سلخوا جلودهم . أنا اعرفهم جيداً .

بتحد اجابه حمودي .

مهما يكن فعلينا ان نتحسب لما قد يقع .

- هذا صحيح . لكن لنمض .

وبغير اقتناع تراجع حمودي .

- لنبق في اتم حذر .

نهض سليم والتقط ورقة من المناشير . قرأها ثم التقط طبقة ثخينة منها .

- سآخذ هذه .

لم يتكلم الثلاثة .

كانوا ينظرون اليه وهو يفتح حقيبته ويضع فيها المناشير .

لفحه صوت حمودي المندى بالتضرع .

- كن حذراً .

ضحك سليم بجفاف .

- ستراني امامك دوماً .

- ان هذا ما اريده .

صعد سليم درج السرداب . توقف عند منتصفه وتبعه حمودي .

استدار الى الرجلين الجالسين .

- سنلتقي قريباً .

توقفا عند الباب الخارجي . فتحه حمودي بأناة تامة .

وحدق في الدرب .

همس .

- لا احد . تستطيع الخروج .

اومأ سليم برأسه .

- الى اللقاء .

كانت ريح خفيفة تهز اشجار النبق والتوت . فتنجلد ظلالها على الاسفلت : الشوارع ساكنة . عدا بعض الدراجات النارية للشرطة وسيارات جيش تعبر مسرعة في طرق بعيدة .

اندفع سليم في موازاة جدران الحدائق والابواب مخرجاً منشوراً من حقيبته ، ملقياً به من فوق كل باب . وتوقف عند باب قضباني .

دس المنشور قرب المزلاج . وفتح اصابعه ، صرخ صوت

من نافذة مظلمة .

- ماذا تفعل .

اقشعر سليم .

وسمع الصوت يصرخ بعد ثوان .

- انه منهم . قف .

كاد سليم يصل الى نهاية الطريق . التفت . كانت اضواء الأبواب الخارجية تعتلق على طرفي الطريق قرب ذلك البيت .

تحسس جوف حقيبته الصغيرة .

ولمس ورقة واحدة . اخرجها وطوح بها في حديقة منزل .

والصوت يرتفع .

- امسكوه . الحقوا به وامسكوه .

اندفعت تجاهه اربع درجات .

استدار في المنعطف وقفز فوق جدار مغطى بنباتات متسلقة .

نظر الى المنزل النائم ثم امسك حافة الجدار بكفيه وراح يرصد الطريق .

انعطف راكبو الدراجات واثنان منها يؤكدان :

- اجل . انه مر من هنا .

هتف الثالث .

- ذلك هو .

انكمش سليم . وسقط الثلاثة على رجل يمشي قرب الجدار المقابل على بعد ثلاثين خطوة .

صاح واحد منهم .

- انه هو .

هتف اثنان .

- انه هو .

دفعهم الرجل :

- ماذا تريدون .

انقض الرابع اليهم :

- نعم انه هو .

ذاب صوت الرجل :

- انا عامل في المخبز . ذاهب الى عملي .

صفعه الأول .

- لن تخدعنا ايها المتآمر .

سحبه احدهم وأركبه امامه على الدراجة واحاط به الآخرون .

انفطر صوت الرجل :

- والله انا بريء .

غاب راكبو الدرجات في المنعطف . والريح ظلت تهب رخية .

* * *

. المسرح مظلم .

صرخة ـ لا توغل كفك في جمجمتي . انك تغرق يقيني :

اصوات بعيدة ـ حين يعود الغريب مشلولة دماؤه في عروقه من اللوعة ، ستصرعه الأفعى المختبئة في فراشه منذ ان رحل :

(تندفع النافذة . تمتد منها يد مشرعة سيفاً طويلا . ترتطم عليها سحابة نور موجزة : تنسحب اليد ببطء وتختفي : ثم تمتليء الغرفة بالنور : في جانب منها رجل يجلس على منضدة يحدق في النافذة وعلى مقربة منه اتكأ قارب مزخرف له جناحان : يستمر في النظر باندهاش ثم ينهض الى النافذة) :

(في همس ـ الموت يغسل اغنام القرية . ودمـوع الراعي

تثقب بياض عينيه : وهذه الريح الغادرة تدنع طواحين النهـاية لتجرشنا .

يغلق النافذة ـ الموت هو اللعبة الّتي ينبغي الا يمارسها المرء :

يعود الى مجلسه خلف المنضدة : دقات واهية على البـاب يرفع رأسه قائلا :

ـ ادخل :

انفتح الباب ودخل رجل ملثم يلبس ملابس الجيل السابق : ينظر متفحصاً ثم يقول .

ـ اراك لا تزال حياً . اليس هذا مدعاة للفخر :

ـ ماذا تقول ايها الرجل الملثم ـ من انت ؟ :

ـ انا (يخلع لثامه

ـ ابي :

الاب ـ لا تصرخ بصوت مرتفع لئلا اتداعى متهدماً :

الابن ـ الم تمت منذ عشرين سنة :

الاب ـ دعنا الآن . قم وانظر من النـافذة : هل من (ما) تحتها :

ينهض الابن .

الابن ـ بعض الفرسان يعبرون محماين بالاسلاب الّتي اغتصبوها

من القرى التي اقتلعت رجالها الزوابع :

صوت يصرخ من خارج الباب :

ـ ادركني . البرد يصفر بين أضلاعي :

الأب ـ هذا حارسي : هل تأذن له بالدخول :

الابن يهتف منادياً ـ هلم ادخل ايها الحارس :

يدخل هيكل عظمي مجلو العظام ماداً كفه الى الابن ليصافحه :

الابن ـ بانكماش ـ : يكفي ان نهز رأسينا بالتحية . يمكنك الارتخاء :

ينسحب الهيكل العظمي ويرتكز في زاوية :

الاب ـ أرى سؤالا يتمخض في عينيك منذ قدومي :

الابن ـ حقاً فبأناملي المرتجفة اسبلت جفنيك : وبعيني رأيت الحجارة والتراب تغيب تابوتك . وحفرنا اذني امتلأتا من الكلمات المحزونة .

الأب ـ عبرت انهر الزمن المتيبسة ، وقناطر السحر المخدرة علني اصل الى الغد الذي بلا نهار ولا ليل . وما زالت اقدامي التائهة راحلة بي : وعندك ارتميت لاخبرك بـ :

الابن : ليمطر فمك القدسي الكلمات مهما كانت .

الأب ـ كنت استجمع قواي ذات امسية فسمعت اصوات

تذكر اسمك في قرار بات لها بانهاء وجودك :

الابن ـ عجباً ألم يذكروا علة سقوطهم علي :

الأب ـ يبدو انه امر محتوم عليهم ومجهول :

الابن ـ بعد صمت ـ لن يهمني امرهم وسأنفي كل من يتجرأ على التقدم مني :

الاب ـ لكنهم مخلوقون من اجساد لا تعــرف الموت ولا يعرفها .

الابن ـ حسناً . ليأتوا فأغسلهم بالتجربة :

الأب ـ ثبت رأسك على عنقك جيداً وبالتالي اجزم :

الابن ـ انني واثق .

الأب ـ حين يخلو المرء بفكره يثق ويبني امثل ما يريد . وعندما يصل الى الواقع يفقد القدرة على التقدم :

الناس يرون السماء بعيونهم : لكن السماء لا تحتــاج الى عيون .

الابن ـ ان باطني هو خارجي . وخــارجي باطني : انني واثق .

الأب ـ بحنان ـ انت بذرتي الميمونة التي لا تقدم للانواء اي مجاملة .

واي رجل انت يتفصد العزم من جبينك ؛ انك تملأ قلبي ؛

الابن - وانت العباءة المباركة التي تقبني ؛ وان اليدين اللتين فتحتا اجفاني ستسبلانها بفخر .

الشباك يقرع . يفزع الحضور ، الهيـكل العظمي يلتصق باقصى المكان .

صوت اجش من الخارج - افتح ؛

لا ينتظر بل يدفع الشباك بعنف ويفتحه ؛ يدخل رجل ضخم قوي يرتدي ملابس الجيل الاسبق ؛

الأب - يااللغرابة ، اي تدبير غامض قذفك الينا ؛

انه جدك ياعزيزي . انكما لم تتعارفا من قبل ؛

يتصافح الاثنان بدبلوماسية فائقة واحترام كامل ؛ ثم صمت ؛

الجد - لابنه - هل انت متأكد منه . بصيغته الكاملة ؛

الأب - اجل ؛

الجد - اذن لا بد اني وقعت في غلطة ما .

الأب - ما هي .

الجد - لا شأن لك بها .

الأب - لابد لي ان اعرف .

الجد - حسناً - سأنزل عنـد اصرارك : كلفت بانتزاع روحه .

- يومىء الى حفيده المرتجف -

الحفيد - هلا اخبرتني عن هذا الاصرار اللافح عليّ .

الجد - نحن اجدادك ؛ نبقى في الزمن ؛ كل منا يملك ارضه ولن نرضى للآخرين : شرقيين أم غربيين بالدخول فينا : رغم اننا نحب الملاك ؛

لنا سماؤنا الخاصة ؛ كنا قديماً ونبقى ؛ اننا منتشرون مثل الأرض .

اما انت فكنت تعطي دمك لفكر يمزق الارض المستوية ؛ لذا قرروا طمس وجهك عن ضوء العالم ؛

الأب - بتخشب - انك لن تنصاع لهم ؛

الجد - (تحديق) .

الابن - لن تغسل يديك بدمك .

الحفيد - لن تغرز اظافرك في قلبك ؛

الأب - لن تسلخ جلدك ؛ استحلفك ؛

الجد - وماذا سيقولون ؛ انهم واقفون وراء الأشجار ينتظرون

الأب - دعهم يبلعون انتظارهم المر ؛ فالعـاصفة تلوح وسيغيبون فيها .

الجد - اذن فلنصل عليهم اولا ؛ ثم اقرر ؛

الأب ـ ماذا تقول :

الجد ـ سآخذكم الى دار لن يقرع بابها : ولا يصلها لداء وليس فيها نوافذ كي ننجو ، أتأتيان .

يهزان رأسيهما بالايجاب :

اصوات بعيدة ـ ذو الوجهين يهرب في المرآة : ثم يسقط في البئر . وجوه كثيرة تهرب في طرق مختلفة لكنها أخيراً تسقط في البئر . ويظل القارب واقفاً :

آه . لا تموتوا ايها المسافرون : سيحضر البحارة غداً :

* * *

المسرح رومانسي الاضاءة : في المنتصف وقرب الجدار كرسي انتصب فوقه الرجل المرقوم بـ (١) : يضع فوق ساقيه عصا ضخمة . منهمك بقراءة جريدة : امامه وبالضبط وضع مقعد مرتفع المسند يخفي امرأة غارقة في جوف عباءة : ترقم بـ (٢) : هناك شباك على بعد متر من الرجل .

ـ صمت لمدة نصف دقيقة بعد ان تنفتح الستارة ـ

٢ ـ الساعة ، خبرني ، كم مضى من الوقت ونحن نضع ايدينا اليمنى على ايدينا اليسرى .

١ ـ . . .

٢ ـ اثنتا عشرة ساعة وانت تقرأ في نفس الصفحة ، هل

تسمرت عيناك وتيبس نظرك ؟ ام هناك اشياء تبهج غير الصالحين.

اني ارى عروق رأسك تلهث . دعني أرى المخـازي (لا تجشم نفسها عناء الوقوف . تظل جالسة) دعني أراها .

١ - . . .

٢ - لن ترنيها اذن - بلهجة باكية - منذ ردح من السنين لمست قلبك وانت نائم فوجدته بارداً في تلك اللحظة نزعت خفي وسرت حافية القدمين حتى الشاطيء . اطفأت رأسي المحموم فيه وما زلت في كل ليلة اذهب لأتثلق . لكن حارس الغابة الابرص رماني بتينة من بين الصخور فاخافني . استحلفك بالله ان تفقته .

١ - . . .

٢ - ألن تفعل . استمع اذن ايها الخنزير المطلي .

بالامس رأيت عينيه داخل ملابسي . وحين صرخت نهض الاف الرجال من وراء التلال يتمطون ويحلمون بي . وكان الابرص يمتص قصب السكر بجنون .

١ - هل افرط :

٢ - في امتصاص قصب السكر ؟ لم انتبه . انما كان يحشو الرجال بالفتك . يقول لهم ساخدمكم حتى تبيض عظامي فتجفل منها الكلاب . فقط اغرقوا هذه الملتهبة بجرفة في هوة العجائز

الدميات .

١ - الوغد . نسي كلبنا الذي التقطه من المزبلة فحمله الينا بعد ان التهمت البكتريا ساقاً ونصف ذراع منه (صمت ضئيل) انك تروقين لي حين اراك بسبعة اعشار وربع العشر من بصري . اكاد اغدو مسماراً في الكرسي .

٢ - (تتنهد) انك بتهجني حتى اطرافي .

١ - اذن فلنرقص . اعرف رقصة كنا نرقصها على دقات الصفيح اسمها . اسمها .

٢ - لنتعلق باطراف الشيطان .

١ - (بعصبية) انسيت ان الذي تقاطعينه هو سيف الكون (صمت ضئيل) . حقاً ان خميرة الارض بدأ يدب فيها الفساد.

٢ - يبدو انك نسيت حلمك ياسيدي في قارورة الهـدوء بغرفة التفكير .

هل اذهب لآتيك به ؟

١ - انت اليوم شديدة الطراوة . تنزلقين من اذني بانسيابة أرجو الا تكون مفتعلة . اصمتي . بدأ قلبي يشحن بالحرارة وما اظنني الا سأبكي .

٢ - يازوجي . ضع الجريدة جانباً . لأرى وجهك الناقوسي

الحزين .

١ ـ هل اعددت الاغطية . الليلة تمطر وفراً كما تقــول هذه الأخبار .

٢ ـ انهم كذابون . بالامس قالوا عجولا وفراخاً . فصفعتنا ذيول التراب حينما خرجنا نعد الاقفاص والمخازن .

١ ـ ما هذا السيل الكثيف من الضياء . ياللعنة . اقذفي بعضه خارجاً . افتحي الشباك . سأتمزق حالا . سأتمزق حالا .

٢ ـ انتظر لحظة (تنهض من المقعد وعباءة سوداء تلفها باحكام . تذهب الى النافذة فتفتحها . يرتفع صــوت متشنج يردد) .

الصوت ـ يا أم العباءة . حلوة عباءتك .

٢ ـ (تتقهقر الى كرسيها دون ان يرى منها لمحة) ـ انه هو يغني لي .

١ ـ (بعصبية) من يكون هذا الاحمق .

٢ ـ جارنا : بائع الصراصر :

١ ـ عليه اللعنة : سأقذفه بالمقعد (يظل جالساً لا يتحرك)

٢ ـ انه يرصد الشباك منذ أعوام كثيرة : لن احملك على الغيرة : فأنا امقت رأسه العصفوري :

(صفير يرتفع من النافذة : ذات الصوت يعود) :

الصوت ـ اطلي ثانية يا حليتي النادرة : لا ترتعدي من زوجك الملطخ بالهوان :

١ ـ الافاق المجدوع الانف : سأقتله (لا يتحرك) :

الصوت ـ اركليه في رأسه . صبي جردلا من الماء في انفه

ـ صمت ضئيل ـ قفي في النافذة لاختطفك :

١ ـ يختطفك ! اسمعي ؟ :

٢ ـ انهض . اجلب البندقية : واثقب جسده مائة ثقب :

١ ـ حسناً سأقتله تواً (لا يتحرك) :

الصوت ـ يافاتنتي المتلألئة : ياقمري الصوفي : هلا سمعت ؟

١ ـ دعيه يعوي في الظلمة : سأجعل جمجمته قيثاراً :

الصوت ـ انبذي هذا الجدي المصبوغ اللحية : هلمي الي :

٢ ـ (تنهض) انظر : ساجلده بتقريعاتي القاسية (تصل الى الشباك وتطل منه) :

الصوت : مبهج : مبهج : لم يخب ظني ، هاتي يدك : كنت متيقناً انك مغرمة بي :

٢ ـ اذهب بعيداً ايها الحشرة الصلعاء :

الصوت ـ يااللنبرة البديعة التي اشاعت في قلبي الاطمئنانوفي

جسدي المكدود الراحة . انطقي ثانية ياحسناتي . لتمتلىء اعماقي بالفرحة .

٢ ـ قلت كفى : احمل وجهك المسخ وضعه في صفيحة :

الصوت ـ لا تكوني مكابرة . ان عينيك رائعتان حين تلتمعان في فضة القمر . اقفزي على حصاني الأشهل : انه لا يصهل حين يعدو في الوديان المقفرة وفوق الجبال المثلوجة :

سيعبر بنا الغابة قبل ان يطرف رمش وحش من وحوشها .

١ ـ انه يدعو حماره المجذوم فرساً . ان القملة لتدب أسرع منه :

الصوت ـ من هذا المكابر الذي لا يعرف كلامه .

٢ ـ انه زوجي المفدى : انت لا تعرف اي الرجال هو :

الصوت ـ هيع : هيع . هاع (ضحك متشنج) :

٢ ـ الا تصدق انه يحشو البندقية :

الصوت ـ هيع . هيع : هاع (ضحك متشنج) .

٢ ـ اننا نشفق على ارضية الممر البلورية من ان تتلوث بدمائك القانية : فاذهب الى حيث يعسكر صيادو الرؤى فيشفون امانيك المتوهجة :

الصوت ـ ليس بمقدوري : فأنت معطي الابدي :

٢ ـ سأغلق النافذة .

الصوت ـ سأرغمك على فتحها :

٢ ـ لن تستطيع :

الصوت ـ لا تكوني مغفلة . فعود ثقاب يندس تحت الباب يحرق المنزل . الا يجعلك تفتحين ؟

١ ـ نيرون .

الصوت ـ أراك تتباطئين . هل ترهبينه .

٢ ـ . . . .

الصوت ـ خذي هذا الخنجر وأذبحيه .

١ ـ لا تأخذيه .

الصوت ـ ليصفو لنا البقاء . ونحيا كما نهوى . خذي .

١ ـ القاتل : لا تنصتي اليه .

تبدأ الأضواء بالخفوت والتلاشي وتحل الظلمة التامة .

تعلو صرخة . ثم تبدأ الأضواء ثانية بالأئتلاق . الرجل رقم (١) ما زال ممسكاً بجريدته في نفس الوضع السابق . اختفت المرأة ولم يبق من آثارها سوى العباءة ممتطية النافذة .

٢ ـ (من اسفل النافذة) النجدة .

الصوت . قلت لك اهدأي . لن امسكك الا بيد من حرير .

٢ ـ عباءتي .

الصوت ـ دعيها .

٢ ـ (تصرخ ثانية) زوجي .

١ ـ (يتساؤل) أجل .

٢ ـ اليّ . انني اساق الى الغموض . انجدني .

١ ـ لا تجهشي بالبكاء . سأقتله (لا يتحرك) .

الصوت ـ انا القشر الذي سيحميك ايتها الخلية الطاهرة .

٢ ـ (تضحك بصوت مرتفع) .

الصوت (مبتعداً) . وداعاً ياظل النسر الهرم .

* * *

الانزلاق

ظل صوت الوداع يملأ الغرفة الى ان اصطفق الباب فغمر الهدوء الاشياء الصغيرة البالية : حتى وجه المرأة التي سرعان مـا ادارت ظهرها للرجل الجالس وانصرفت الى زاوية .

حدق الرجل الكث الشاربين في ظهرها :

عندما مست يده يدها الناعمة الدقيقة بالامس ـ وهي تناوله قدح شاي : ارتعش : وثبت عينيه بوجه زوجها الذي جلس مقدساً له :

حرك السكر في القدح وهو يضغط اسنانه ليطرد الرعشـة نهائياً .

قال للزوج ليخلق أرضاً جديدة .

ـ هل ذهبت اليه .

- اجل ، اخبرته انك موجود في بيتي وقال عليك ان تظل مختفياً هنا ، الى ان يجدوا لك مكاناً آخر . فالشرطة السريون اطبقوا على عدة منازل كنت تختلف اليها .

شد الرجل الكث الشاربين شفتيه بصرامة ، فصمت الثاني :

كانت اصابعها تحرك الاواني والقـــدور ، المدينة الضخمة صارت اسواراً منخفضة حال لون جصها الى اسمر وجداراً مكعباً لا ينتهي . فتركز جسده على الفراش المسطح على الارض ،

سمع صوتها - هل ستنام ؟

حرك عينيه تجاهها ، كانت عيناها معلقتين بعينيه :

اومأ لها - كلا :

- أنا ذاهبة لاتسوق ، وسأعود بعد قليل :

اصطفق الباب . وبقي الجسد ممدداً ، انهم هنـــاك يتوقون للقبض عليه . وصورته في جيوب الشرطة السريين :

(كنت متيقناً ان هناك جاسوساً في الحزب . كان اسرع منا ، لما انحصر شكنا فيه ، انها نافذة مميتة تلك التي فتحها علينا حين كشف التنظيم) ،

نهض الشارب ، وأطل من الشباك على نساء فقيرات يمضين الى السوق ، ورجال مكدودين :

حدق بها وهي آتية وقبل ان تلامس الباب فتحه .

- سألته باندهاش :

- هل رأيتني ،

- آه . كنت ارقب الطريق :

وضعت حاجياتها

سألها - متى سيعود :

- عند انتهاء العمل طبعاً :

- ها :

كان الرواق الرطب والجدران الملفوفة تجذب جسده اليها :

وضع قامته بجانبها ،

- دعيني اساعدك :

انبهرت ،

- ابداً ، لا يجوز :

جسده يحتك بها ، تقدمت خطوة للامام ، وافترقت :

جسده يتفتح في ظهرها مرتجفاً :

- لا بدّ ان اساعدك :

زم كفيه في بطنها وضمها اليه :

كان يرتجف في ظهرها :

فتحت يديه باظافرها . واستدارت :

كانت تدفعه بيد ناعمة واخرى جسورة قاسية .

أنها تلين كالقماش بين يديه : وجسدها يرتعش بين الكفين الكبيرين :

كان الشارب يريد اسقاط المرأة الى الأرض .

انفتح الباب بسرعة .

وانتبهت هي الى الباب الذي انفتح :

تصلب القماش بين يديه وصرخت :

ـ ابتعد عني ياخائن :

ارتفع الشارب من ياقته واستطال بجانب الزوج :

ـ انك حقير للغاية . تخون بيتي : تعال :

انسحب الشارب من كمه : وصار بجانب الباب .

ـ لن تهمني حياتك ايها السافل : انك الجاسوس الحقيقي الذي طاردك وجعلك تختفي :

قذفه خارج المنزل :

ـ ليقبضوا عليك او لا يقبضوا : الى جهنم :

تقدم الرجل نحو امرأته : وكان عنكبوت صغير يركض في زاوية الغرفة العليا : مر بذبابة ميتة في شراكه ثم اختفى :

الفهرس

المسرحيات :

الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	السطر	الصفحة
كح	سعل	١٣	٩
أنت	أتمت	١٧	١٠
مفرقاً	مغرقاً	١١	١١
لمنا	لنا	١٧	١٥
لينحدر	ينحدر	١٤	١٩
بهين	بين	٩	٢١
الجسد	الجد	١٣	٢١
يرون	يمرون	١٤	٢١
ونهجت	ومنهجت	٢	٢٢
اغلاق	اوقف	٨	٢٤
ليتمدد	يتمدد	١٣	٢٦
متبعداً	مبتعداً	٢	٢٧
حجرتيها	حنجرتيها	٦	٢٧
خذوا	خذانا	١٢	٢٧
أراه	أره	٤	٣٠
بفتح	ينفتح	١٠	٣١
تحرت	تحرث	١٤	٣١

الخطوط : صادق الصائغ